نفوذ اليهود في بلاط المغرب الأقصى العهد المريني و الوطاسي

د/فاطمة بوعمامة
أستاذة محاضرة أ
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

Résumé

La présence juive au Maroc est très ancienne et fut nourrie par diverses vagues de refugies au cours de l'Histoire.

Après l'expulsion définitive des juifs d'Espagne en 1492, bon nombre d'entre eux se sont installés au Maroc. Mettant en profit leur polyvalence culturelle et linguistique, les mérinides et les Wattassides ont régulièrement eu recours à des conseillers et ambassadeurs juifs.

Les sultans marocains ont permis l'accession de personnalités juives telles que Khalifa ben waqqasa, Haroun ibn Batash, Abraham ibn Zammerou et Jacob Roti à la cours des sultans marocains, ils serviront d'intermédiaires auprès de la couronne portugaise alors que cette dernière avait la totale loyauté de ces ambassadeurs.

تمهيد:

يعد موضوع اليهود في بلاد المغرب في العصور الوسطى من المواضيع الهامة. و يتجلى ذلك من حيث النشاط الذي قامت به الجاليات اليهودية في المجتمع الإسلامي وهو مؤكد تاريخيا إذ اشتهرت هذه الجاليات في المجال العلمي خاصة في مجال الطب حيث لجأ إليهم بعض الأمراء المسلمين. كما برزوا في المجال الاقتصادي كالصناعة و التجارة، و الصرافة. هذا و لم يتوقف تأثير اليهود في هذه المجالات بل كانت لهم اليد الطولى في توجيه و التأثير السياسي على الحكام بالخصوص على سلاطين المغرب الأقصى. و قد استغل اليهود حرص المسلمين على تطبيق تعاليم الدين مع أهل الكتاب كما جاء في قول الله تعالى:» **قاتلوا الّذين لا يؤمنون بالله و اليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** «سورة التوبة: آية 29 ،لتحقيق نفوذهم الاقتصادي، و طريقا للتقرب من أصحاب السلطان لضرب الإسلام و المسلمين.

التواجد اليهودي ببلاد المغرب:

من الصعب تحديد البداية الأولى لهجرة اليهود نحو منطقة المغرب، خاصة و أن الآراء حول هذه الهجرة اختلطت بالأسطورة، و القصص، و التاريخ هذا ما جعل استحالة تحديد بداية الهجرة.

وقد حاول بعض المؤرخين تحديد بداية الوجود اليهودي إلى عهد الملك داوود عندما تغلب على جالوت فهاجر بعضهم إلى مصر ثمّ إلى شمال إفريقيا[1] ،ثمّ توالت الهجرات أبرزها هجرة يهود فلسطين الذين تمكنوا الإفلات من السبي البابلي هذا ما أكده بعض المؤرخين القدماء منهم المؤرخ بروكوب[2] ،

ومنهم من انتقل مع التجار الفينيقيين بسواحل المنطقة.[3]ثمّ تلتها هجرات أخرى لا تقل عنها أهمية ابتداء من القرن الأول الميلادي أبرزها الهجرة الإجبارية التي حدثت في عهد الإمبراطور الرّوماني تيتوس[4]،مما نتج عنها تضاعف عدد اليهود بالمنطقة وهذا ما أثبتته أدلة أثرية و نصوص تاريخية[5].

و قد أشارت بعض المصادر الإسلامية – حتى و إن كانت فقيرة و متضاربة في معلوماتها – إلى هجرة اليهود من فلسطين و انتشارهم بالمغرب[6].

و لما تمّ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، وجد الفاتحون مجتمعا متباينا في المعتقد والدّين، و قد تمتع اليهود و النصارى بالحرية والعدل في ظل النظام الإسلامي ما داموا يخضعون لقانون أهل الذمّة . أطلقت الفئة الأولى من اليهود المهاجرين على نفسها منذ القرن التاسع الهجري (15م) اسم التوشابيم، و تعني بالعبرية الأهالي[7].و قد اندمج إلى اليهود الأهالي يهود قدموا من اوروبا عامة و من الأندلس خاصة هروبا من اضطهاد النصارى خاصة في نهاية القرن السابع الهجري(13م)[8]،ثم تلتها هجرات بعد انعقاد مجمع زامورة عام 1317م[9].

وتزايدت هجرة اليهود إلى بلاد المغرب في نهاية القرن التاسع الهجري (15م) أي في عام 1492م عندما قرّر المالكان الكاثوليكيان فردينا ند ملك أرغونا (1452-1516م)، و الملكة إيزابيلا ملكة قشتالة(1451-1504م)[10]،طرد اليهود نهائيا من شبه جزيرة أيبيريا[11].و عرفت هذه الفئة الثانية من اليهود المهاجرين بالميغوراشيم، و تعنى بالعبرية المطرودين[12]،كما عرفوا بالكابوسيين نسبة الى الكبوسة الحمراء التي كانوا يضعونها على رؤوسهم.[13]و قد رحب حكام المغرب الإسلامي بهؤلاء اللاجئين الذين كانوا يختلفون على اليهود من حيث الثروة، و الثقافة، و الجاه، و فيهم أصحاب الصنائع و القلم.

من الصعب تحديد كل المناطق التي أقام بها اليهود بالمغرب الإسلامي، وهذا للعديد من الآمور من بينها صمت المصادر الإسلامية، غير أنه يمكن تحديد مناطق استقرار اليهود بالمغرب الأقصى بوضوح و دقة بفضل ما تركه لنا الرحالة الحسن الوزان، والمؤرخ مارمول كربخال.

هذا و تشير المصادر ان أغلب اليهود كانوا يسكنون فاس القديمة حاضرة بنى مرين، ثمّ نقلهم السلطان أبو سعيد عثمان المريني(710-732هـ/1310-1331م) إلى حي خاص بهم في مدينة فاس الجديدة[14] يعرف بالملاح [15]. و يشير ابن ابي زرع أن اليهود ملكوا بفاس البساتين و الديار و الحوانيت و الرباع [16]، و يضيف البكري أنها أكثر بلاد المغرب يهودا و قبلة اليهود في المغرب الأقصى [17]. كما كانوا يقيمون بمدينة تازة [18]، و مدينة باديس، و نفزه و بها حوالي مائتي بيت لليهود [19] و أزمور و بها أربعمائة أسرة يهودية [20]، و دبدو [21]، و كان يقيم بمراكش أكثر من ثلاثة الاف أسرة يهودية [22]، و شفشاون، و كان بمدينة زروال أزيد من مئة دار لتجارة الصناع اليهود[23].

و يكثر اليهود بمدينة أفزا أسفل الأطلس الكبير، و مدينة تاكو دارت، و أسفى و بها مائة بيت يهودي، و مدينة أغمات و تدنست و بها حوالي مائة بيت يهودي هي الأخرى[24] و حوالي مائتي تاجر و صانع يهودي بمدينة تييوت أو تشييت [25] و حوالي مائة و خمسين دار بمدينة أديكيس [26] و حوالي مائة منزل لليهود بمدينة تاكاووتست [27]، و أربعمائة أسرة يهودية بترغالة [28]، و قصر بني صبيح و درعة[29]، كما كان يوجد عدد كبير من اليهود بسجلماسة [30].

من خلال هذا التوزيع نستنتج أن نسبة كبيرة من اليهود استقرت بالمغرب الأقصى، و عدد كبير منهم كان يقيم بالمناطق الجنوبية و جبال الأطلس و عاشوا حياة البداوة و اختلطوا بالمسلمين. أما الذين استقروا بالمدن الكبرى كمدينتي فاس و مراكش فكان عددهم قليلا و اختلطوا باليهود الوافدين من بلاد الأندلس.

و كانت الجماعات اليهودية تتمتع بنوع من الاستقلال الداخلي في ظل حكم المغرب الإسلامي في تسيير أمورها الإدارية و الثقافية خلال هذه الفترة. فكانت لها قوانينها الخاصة و مقابرها و مدارسها و بيعها فكان يسهر على تنظيم الجماعات اليهودية شيخ اليهود أو النكيد [31] و كانت الجماعات هي التي تختار الشيخ و تقوم السلطة الإسلامية بتثبيته و الاعتراف به و توقيع تعينه من ديوان الانشاء و العلامة[32].

لكن بعد هجرة يهود الأندلس حدث تغيير في تنظيم هذه الجماعات و أصبحت مسيرة من قبل مجلس يعرف بالعبرية نيمانيم ينتخب أعضائه بانتظام، و هم أيضا الذين أدخلوا بالمغرب الأقصى ضرائب طقوسية خاصة لاستهلاك اللحوم و النبيذ[33]. و الملاحظ أن هؤلاء اليهود المهاجرين قد نقلوا الى بلاد المغرب علاوة عن ثقافتهم الدينية ما اكتسبوه من مميزات خاصة في المجتمع الأندلسي الإسلامي، فكان منهم من بلغ درجة كبيرة في العلم و التجارة و الحرف مما مكنهم الاستحواذ على مراكز حساسة في بلاط المغرب الأقصى.

يهود في بلاط الدولة المرينية: 668-879هـ/ 1269-1474م

المرينيون فخذ من قبيلة زناتة[34]،بعد معركة العقاب أخذ بنو مرين يكتسحون شمال شرق المغرب الأقصى مغتنمين ضعف الدولة الموحدية [35] و استمر الصراع بين بني مرين و الموحدين حتى بايع شيوخ بني مرين الأمير أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، و انتصر على الموحدين في معركة وادى غفو و دخل مراكش سنة 668هـ/1269م[36]،اتخذ بنو مرين منذ استلائهم على السلطة لقب أمير و لقب سلطان[37]. و في سنة 671هـ/1272م اختط أبو يوسف يعقوب المريني مدينة فاس الجديدة و أصبحت قاعدة لحكمه بدلا من مراكش[38].

عاش أغلب يهود المغرب الأقصى في فاس العاصمة، و تحسنت وضعيتهم كثيرا في العصر المريني عكس ما كان عليه وضع اليهود طيلة حكم الدولة الموحدية [39] وبرعوا في المجال الحرفي الذي كان المسلمون يستنكفون عن ممارسته، كما توسع نفوذهم التجاري و كوّنوا بعض الشركات التجارية حتى طريقا يهوديا[40] ،هذا Dufourcq جعلوا من طريق الذهب السوداني على حد تعبير الباحث ديفورك

و لم يقطع اليهود المهاجرين صلتهم بأروبا.

و قد حضي اليهود بامتيازات هامة من قبل سلاطين بني مرين كبناء حي خاص لهم قرب القصر بأمر من السلطان أبي سعيد عثمان [41] و أمر

العامة بالكف عن اليهود[42]، كما أقدم أبو الحسن المريني عام 731هـ/1330م بإسقاط الجزية عنهم [43]. و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل سمح بنو مرين لليهود باعتلاء مناصب رفيعة و حساسة في البلاط المريني و من أبرز هؤلاء اليهود:

خليفة بن حيون بن زمامة بن وقاسة:

استخدم السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني اليهودي خليفة بن حيون بن زمامة بن وقاصة حاجبا له[44]. كان بنو وقاصة هؤلاء من يهود ملاح فاس. و تمتع خليفة بن حيون بنفوذ واسع متحديا قانون أهل الذمّة، إذ أثر هذا اليهودي على الأمير يوسف بن يعقوب منذ صباه، كان يعصر له الخمر و يجهز له الخلوة مع الندماء خفية عن أبيه السلطان أبا يعقوب الذى اشتهر بالوقار والتدين ،لهذا أصبح لآل ابن وقاصة نفوذا كبيرا في القصر [45]إذ انفردوا في وظيفة القهرمان مدّة طويلة، وهم خليفة بن حيون و أخوه إبراهيم، و ابن عمهما خليفة و لقب بالصغير، و موسى بن السبتى وهو صهر خليفة بن حيون [46].

تذمر الأعيان و رؤساء القبائل و الأشراف و العلماء من الامتيازات التي حضي بها اليهود، فتفطن السلطان يوسف بن يعقوب لخطر اليهود بعد أن أطلعه على ذلك كاتبه أبو محمد بن عبد الله بن أبي مدين فيقول في ذلك السلاوى في كتابه الإستقصا:»...ثم أن السلطان يوسف استفاق و التفت اليهم و راجع بصيرته في شأنهم...وشعر كاتبه بذلك القائم بآمور دولته أبو محمد عبد الله بن أبي مدين، فسعى عنده فيهم و أوجده السبل عليهم فسطا بهم سطوة منكرة...»[47] لذلك قام السلطان باعتقالهم في شعبان سنة 701هـ/1301م بمعسكره أثناء حصار تلمسان، فقتل خليفة الأكبر و أخاه إبراهيم و بنى السبتى و لم يترك السلطان إلاّ خليفة الأصغر احتقارا لشأنه[48]و عرفت تلك النكبة بنكبة بنى وقاصة[49].

خليفة إبراهيم المعروف بالأصغر:

لم يتعظ السلطان أبو ثابت(706-708هـ/1306-1308م) بما فعله بنو وقاصة مع جده. كان خليفة الأصغر يجمع في يده كل الأمور و كبر شأنه ،كان بعض أفراد الجيش من بنى مرين ينادونه بسيدي أبي خزر[50]،و ازداد نفوذ خليفة إبراهيم لدرجة أن الشيخ الصالح أبي مدين شعيب لا يقدم على أمر حتى يأخذ رأي ابن أبي خزر خليفة[51]. وكان خليفة الأصغر حاقدا على ابي مدين و أراد التخلص منه فوشى به للسلطان و اتهم الشيخ الصالح أبي مدين بأنه مرصد بالدولة و متربص بها الدوائر، فظن السلطان أنه صادق و كان يخشى عائلة أبي مدين لما كان له من الوجاهة في الدولة، فاغتيل الفقيه ،لكن فيما بعد تنبه السلطان لمكر خليفة الأصغر فأعدمه و تخلّص من حاشيته[52].

شمعون البرانسى:

كان سفيرا لدى السلطان أبي سعيد المرينى(710-732هـ/1310-1331م)،أرسله السلطان ممثلا له قرب ملك إسبانيا ألفنسوا الثالث و جاك الثاني الأراغونى. كان لهذا اليهودي تأثير على السلطان [53]

هارون ابن بطّاش:

قال عنه الحسن الوزان أنه طبيب، و فيلسوف، و فلكي[54]. وصل هذا اليهودي إلى منصب الوزارة بتعيين من السلطان عبد الحق بن أبي سعيد(831-869هـ/1427-1464م) وهو آخر سلاطين بنى مرين. بقي عبد الحق المريني على عرش المغرب الأقصى أزيد من ثلاثين عام، لكنّ السلطة الفعلية

كانت بيد وزراء بني وطاس، و لإبعادهم أتى السلطان على العديد منهم و اغتال وزيره يحيى الوطاسي سنة 863هـ/1459م، كما قضى على ابن أبي حسّون ابن الوزير السابق أبو حسون علي بن يوسف بن زيان بن عمر الوطاسي. وهكذا قضى السلطان على ممثلي سلطة بني وطاس، فنقم عليه العامة و الخاصة، فولى عليهم هذا اليهودي تأديبا لهم[55].

اسند السلطان لهارون ابن بطاش الوزارة و رياسة بيت المال، و اتخذ هارون اليهودي شاويل نائبا له. هكذا شارك هارون ابن بطاش في الحكم، و حضي بامتيازات وتشريفات عديدة ، وكان مقامه مماثلا تماما لمقام وزير مسلم. و ترك لنا المؤرخ عبد الباسط بن خليل الملاطي وصفا دقيقا الى ما آل اليه هذا اليهودي:» أصبح صاحب الامر و النهي في مملكة فاس، رغم احتفاظه بلباسه اليهودي [56] و بحضور سيده كان يركب الخيل و يحمل شارات الوزراء، و يصطحب السلطان الى المسجد يوم الجمعة و يساعد سيده الحبوط من الخيل و كان يقف الى جانب السلطان حتى يدخل هذا الأخير المسجد» [57].

استبد اليهود بالحكم و شرعوا في اذلال اهل فاس بالضرب و مصادرة الأموال، كما تحكموا في الأشراف و الفقهاء و فرض على تجار قيسارية فاس بتقديم هدية للسلطان على شكل أموال[58]. و هكذا أصبح هارون اليهودي هو صاحب الحكم الفعلي . و تحت نفوذ و تأثير هؤلاء اليهود، أصدر السلطان المريني عبد الحق مرسوما فرض فيه ضريبة الخراج على كل سكان مدينة فاس بما فيهم الشرفاء مع العلم أن هذه الفئة الاجتماعية كانت معفية من الضرائب و قد استغل البلديون[59] ضعف السلطان فالتمسوا للسلطان يطلبون السماح لهم بالعودة الى القيسارية ووعدوه بدفع ضريبة سنوية فاستجابة عبد الحق لطلبهم و بعد مرور سنة من عودة البلديين للقيسارية طالبوا أن يدفع الأشراف نفس الضريبة التي يدفعونها بل تمادوا و أصبحوا يطالبون ناضر الأحباس أن يبيع لهم جلوس الدكاكين [60]. هذه المطالب زادت من تدهور العلاقة بين السلطان و رعيته. و رغم حقد المسلمين على سلطانهم فواصل هذا الأخير تحسين وضع اليهود و لم يستفد من أخطاء أسلافه بل قام بتعيين يهودي قائدا للشرطة و هو:

الحسين اليهودي:

أقدم السلطان عبد الحق بن ابي سعيد بتعيين الحسين اليهودي قائدا للشرطة علما بأن هذا المنصب لا يسند في الدولة الإسلامية لغير مسلم [61] كما أن هذه الوظيفة تابعة لديوان القضاء وتخضع لقيود شرعية[62]. تمادى الحسين اليهودي في اضطهاد الرعايا بعلم السلطان، اذ امر ناظر الأحباس ببيع الدكاكين بقيسارية للتجار اليهود بحجة أن السلطان بحاجة الى أموال و هو مفوض من قبله. و لم يتوقف الحسين اليهودي في طغيانه عند هذا، بل حدث أن القى القبض على امرأة شريفة من أهل حومة البليدة، -البليدة حومة بفاس –[63] و أوجعها ضربا فتوسلت برسول الله صلى الله عليه و سلم فأمر الحسين اليهودي بمضاعفة العقاب [64] فانتشر الخبر في فاس و اجتمع الناس عند خطيب مسجد القرويين أبي فارس عبد العزيز بن موسى الوريكالي (ت 880هـ/ 1475-1476م) [65]، و كان له صلابة في الحق، فشجع العامة ضد اليهود و أعلن الجهاد و اتفق الجميع على الفتك باليهود و خلع السطان عبد الحق و طالبوا مزوار الشرفاء الشريف عبد الله الجوطي السلطة .[66] و ثار العامة انتقاما للمرأة فأخذوا يضربون اليهود حتى كادوا

يقضون عليهم و لم ينج منهم إلا من فر من فاس، و قبض على عبد الحق و ضربت عنقه يوم الجمعة 27 رمضان سنة 869هـ/1465م [67] كما تم اعدام هارون بن بطاش [68].

و سياسة التسامح هذه المبالغ فيها من قبل سلاطين الدولة المرينية زادت من سخط الرعية و العلماء المسلمين بعد استفحال أمر اليهود و استمر هذا الوضع في عهد الدولة الوطاسية.

يهود في بلاط الدولة الوطاسية(876-961هـ/ 1554-1471م):

بنو وطاس فرقة من قبيلة بنى مرين، تولوا ملك المغرب بعد القضاء على اخر سلاطين بنى مرين. و لم تكن الدولة الوطاسية في نفس قوة الدولة المرينية خاصة و أنها كانت تواجه الاستعمار البرتغالي و كذلك الصراع بينها و بين السعديين حول الحكم[69].

و لم يختلف بنو وطاس عن أبناء عمومتهم في الاعتماد على اليهود كدبلوماسيين و مفاوضين خاصة اليهود المهاجرين الذين كانوا يتقنون لغات كثيرة بما فيها اللغة العربية الى جانب كونهم تجار أثرياء يملكون مصارف و تربطهم تجارة واسعة و أنشطة أخرى مع دول أوربا [70] مما مكنهم الانضمام إلى سلطة الوطاسيين خاصة بعد أن سمحت لهم بالاستقرار و دعمتهم حتى تجعلهم يقفون إلى جانبها في حربهم ضد السعديين و إبعاد أطماع البرتغاليين. إلاّ أنه بعد تعرض المناطق الساحلية للغزو البرتغالي عام 1471م، إجتهد البرتغاليون من أجل جعل أعيان اليهود كأبراهام بن زاميرو، و يعقوب الروطى في خدمة التاج البرتغال .

ابراهام بن زاميرو:

هو طبيب من أصل اندلسي كان يقيم بالمنطقة البرتغالية المحصورة بآسفى و هو الحاخام الأكبر لهذه المدينة بتعيين من الملك البرتغالي عمانويل الأول في 5 جوان 1510. [71] بدأ نشاطه الدبلوماسي عندما كان طرفا في المفاوضات التي دارت بين أهالي أزمور و الملك البرتغالي عمانويل الأول بسبب الصراعات القائمة بين القبائل المجاورة و المستعمر. و قد وضع الطرفان المتخاصمان ثقتهما في الحاخام بن زاميرو. كان يراسل هذا الأخير الملك باللغة الاسبانية و يطلعه بأخبار المنطقة و أخبار القبائل المعارضة و الرافضة الخضوع للمحتل البرتغالي. و كان بن زاميرو ينهي رسائله بعبارة الخادم الوفي للملك[72]. كان ابراهام بن زاميرو مواليا للاستعمار البرتغالي إلى غاية سنة 1542م، و هي السنة التي فقد فيها البرتغال مدينتي آسفي و ارزيلة.

يظهر ولاء بن زاميرو للبرتغاليين عندما قام بتجهيز بارجتين بأمواله الخاصة محملة ب200 رجل كلهم يهود و دخلوا ليلا مدينة آسفي دون أن تشعر بهم قوات القبائل المجاورة المحاصرة للمدينة[73].

و زاول بن زاميرو نشاطه كمفوض سنوات عدة بفضل تميزه بشخصية قوية و قوته في اقناع الغير مما أكسبه مهارة دبلوماسية. ففي عام 1518 عين كمفاوض لايجاد حل لخلاف قائم بين البرتغاليين و قبيلة أولاد عمران، كما كان الطرف الرئيسي في ابرام معاهدة سلم بن السلطان أحمد الأعرج و الحكام البرتغاليين بمدينتي اسفي و أزمور و كان ذلك عام 1524. و قد تعدى دور ابرهام بن زاميرو كمفوض بل اصبح مخبرا و جاسوسا للأعداء مستغلا مكانته قرب السلاطين، إذ تكشف رسالة مؤرخة في 3 جانفي 1511م يخبر فيها أبراهام بن زاميروا الملك عمانويل أن أهل المدينة في خلاف حول الحكم البرتغالي، و من حاصر المدينة بالأمس

يطلب الأمان اليوم، و أنهم يريدون إرسال إثنين من أعيانهم راجيين وساطة الحاخام أبرهام ،كما يخبره بأن عرب مازكان لديهم مقترحات بالخضوع فقد وصل إتنان من أعيانهم إلى آسفى آنفا و ينتظرون رد الملك .كما يظهر ذلك أيضا في رسالة بعث بها في 12 أكتوبر 1512 من آسفى الى الملك البرتغالي يخبره فيها بأن ملك مراكش أعلن الجهاد بجهة الأطلس و بدرعة و حشد كتائب البربر و العرب من نواحي مراكش و أن مخططه القضاء على نصارى آسفى.[74]

لم يكن ابراهام بن زاميرو اليهودي الوحيد الذى حضي بنفوذ كبير في البلاط الوطاسي ،و الاعتماد عليه كوسيط في القرن السادس عشر الميلادي، بل برز أيضا أخواه إسحاق و إسماعيل و ابن أخيه سليمان إذ كانوا هم أيضا مفاوضين و مترجمين و كانوا في الواقع يعملون لدعم مصالح الاستعمار البرتغالي . هذا و قد كلف الملك البرتغالي أبراهام بن زميرو بالتفاوض مع الشريف السعدى سنة 1525م بعد دخوله مراكش و تضييقه الخناق على آسفى . [75] من خلال ما سبق تظهر قوة و شهرة أسرة بن زميرو في مدينة آسفى و خارجها و نال أبراهام رضى القبائل و قبول الشريف السعدى له كوسيط للتفاوض. كما كان أبراهم بن زميرو و هو يفاوض الشريف السعدى يعمل من أجل الحصول على امتيازات تجارية بمدينة مراكش مقابل عمله.

يعقوب الروطي:

كان التجار اليهود يضعون مصلحتهم قبل كل شيء، لذلك نجدهم يتنقلون بين المواقع ، و خير دليل على ذلك يعقوب الروطى الذى بدأ مترجما بآسفى ثم انتقل إلى فاس بعد ذلك ليسخر كل جهوده لخدمة الدولة الوطاسية و قربه السلطان الوطاسى أحمد بن محمد الثاني [76] . في صيف من عام 1536م كتب يعقوب الروطى إلى القائد البرتغالي بأرزيلا يخبره بانهزام الجيش الفاسى قرب وادى العبيد أمام جيش الشريف السعدي . و أمام هذه التطورات رأى الحاكم الوطاسى بضرورة إبرام هدنة مع البرتغاليين، لأنها سوف تكون لمصلحتهما خاصة بعد تعرض المناطق الساحلية للمغرب الأقصى لهجومات السعديين. فأرسل أحمد بن محمد الثاني الوطاسى اليهودي يعقوب الروطى على رأس سفارة عام 946هـ/1536م إلى لشبونة لطلب المساعدة من الملك البرتغالي ضد السعديين وضع السلطان ثقته المطلقة في سفيره اليهودي ،و جعله المفوض الوحيد له قرب الملك خوان الثالث، و سبب اختيار يهودي لهذه المهمة هو خوف أحمد الوطاسي من إرسال مسلم يمكن أن يتحالف مع البرتغاليين ضده و بفضل مهارته استطاع أن يكسب ثقة كل من الوطاسيين و البرتغاليين.[77]

و في عام 1537 ارسل يعقوب الروطي الى مدينة أرزيلة لا فشال مشروع هدنة بين الشريف السعدي و البرتغال لأن ابرام الهدنة بين السعديين و البرتغاليين يكون لها اثر سلبي على الوطاسيين. غير أن يعقوب الروطي فشل في مهمته بسبب تفوق السعديين على البرتغاليين و تراجع قوة الوطاسيين[78].

يظهر مما سبق الدور الذى لعبه اليهود في المفاوضات بين مختلف الأطراف سواء في الداخل أو الخارج. كما يتضح من السفارات التي ترأسها اليهود كانت اما لتعيين مناطق النفوذ بين البرتغاليين و الوطاسيين او طلب الوطاسيين مساعدة ضد السعديين المناوئين لهم في الحكم. و المثير هو الثقة الممنوحة لهم من قبل حكام المغرب الأقصى ، على الرّغم من معرفتهم طبيعة العلاقة التي تربط اليهود

بالبرتغاليين إذ عمل هؤلاء على ترسيخ التواجد البرتغالي خدمة لمصالحهم.

إلاّ أن حكام المغرب الأقصى كانوا على دراية بمكانة اليهود و أهميتها في الحسم في بعض القضايا بفضل احتكارهم لبعض الوظائف منها وظيفة المترجمين و المفاوضين، لذلك حرص الحكام على أن تبقى علاقتهم جيدة بهم. و من المؤكد أن اليهود كانوا من العناصر المتقنة لحبك الدسائس و زرع النعارات الخطيرة داخل الدوائر السياسية للمغرب الأقصى طيلة العصور الوسطى.

الاحالات:

1-الجوطي: تأليف في أنساب الشرفاء الذين لهم شهرة بفاس، مخطوط مصور بالميكروفيلم، معهد المخطوطات جامعة الدول العربية، رقم 1443 تاريخ، ورقة 4.

Procope : De Bello, vandilco, 2 ,1,q-c-f :

Moise de Korene :Histoire d’arménie, trad, 2 - v.Langlois, paris, 1869, p70.

Slouschz : Hebreo-Pheniciens et judeo-Berberes : introduction à l’histoire des juifs et du-3 judaïsme en Afrique du nord , in archives marocaines, T XIV, 1908,pp86-88

4- إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلة و صدر الإسلام، مصر ،مطبعة الإعتماد،1345 هـ/1927م ص9

Tolédano : Fils d’Abraham : Les juifs maghrebins, Belgique, ed Brepol, 1989,pp10-12. -5

6-ابن ابي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، دار المنصور للطباعة الورقية 1972،ص 15.

Eisenberth : les juifs en Algerie, esquisse historique depuis les origines jusqu’à nos jours-7
extrait de l’encyclopédie coloniale et maritime, Paris, s-d, p97.

Ibidem : pp 9,10 ; y-courbage, p-Fargues : chretiens et juifs dans l’Islam Arabe et Turc,-8 Paris, Payot, 1997,p80.

Carrasco :L’Espagne classique (1474-1814), Paris Hachette, 1992,p21.-10 9

تزوج الملك فردناند و الملكة ايزابيلا عام 149م و وحدا مملكتيهما وكانا يسميان بالملكين الكاثوليكيين، انظر: مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، سلسلة ندوات الموريسكيون في المغرب، الندوة الثانية، شفشاون ، 1421ه/2000م، ص37.

Hanoune : aperçu sur les israélites algériens et sur la communauté d'Alger, Alger 1922 -11 , p7.

Laredo : Berbères y hébréos en Marrucos , Madrid, s-d, 210. -12

Abbou : Musulmans Andalous, et judéo Espagnols, Casablanca, ed Altar s-d, p296. -13

14- الحسن الوزان: وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1983، ص143،السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، و محمد الناصري، الدار البيضاء 1954، ج2،ص39.

15- ظهرت أحياء خاصة باليهود ببلاد المغرب اختلفت تسميتها كالملاح و الحارة بالخصوص في القرن 9هـ/15م لأن وثائق الجنيزة بالقاهرة لم تشر الى أي حي يهودي خلال القرنين 4-5هـ/ 10-11م **في العالم الإسلامي، انظر:**

Goitein : jews and Arabs, New york, 1946,pp 70-74.

16- ابن ابي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، الرباط 1936،ج2، ص46.

17- البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقيا و المغرب، بغداد، مكتبة المثنى، ص11.

18- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص351، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، القاهرة، مؤسسة ناصر للثقافة 1980، ص128.

19- الحسن الوزان: المصدر السابق ،ص351

20- مارمول كربخال: افريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد زنيبر، المغرب، دار المعرفة 1988-1989،ج 2، ص197.

Slouchz : un voyage -d'études en Afrique, 50721

22- مارمول كربخال: المصدر السابق، 55.

23- مارمول كربخال: المصدر نفسه،ص254.

24- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 111.

25- مارمول كربخال: المصدر السابق،ص29.

26- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص131-132.

27- مارمول كربخال: المصدر السابق،ج3 ،ص146.

28- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 497.

Slouchz : Les Juifs de Debdou,Paris, E Leroux,1913, p246. -29

Ibidem :pp246-247. 30-

31- الحسن الوزان: المصدر السابق ، ص113.

32- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، 1915،ج5، ص197.

Eisenbeth : op-cit , p130 . 33- 34-

ابن ابي زرع : الأنيس المطرب، جزء2 ، ص 401.

35- ابن ابي زرع: الذخيرة، ص 27.

36- ابن ابي زرع: الأنيس المطرب، 307.

37- ابن الأحمر: روض النسرين في دولة بني مرين، ترجمة أبو علي و جورج مارسيه، باريس، 1937،ص30.

38- السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص21 **لوطورنو: فاس قبل الحماية، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1996،ج 1 ص 62-97.**

C-Cahen : Les Juifs dans l'Afrique septentrionale, Constantine 1867, p41.

39-

Ch-E-Dufourque : l'Espagne catalane et le Maghreb au XIIIes et XIVe s, Paris, 1966, p144. 40-

41- نوال عبد العزيز: العلاقات الخارجية لدولة بني وطاس، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد الدراسات و البحوث الإفريقية، 1991،ص 238-240.

42-الفردبال: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمان بدمي ، بنغازي 1969، ص 327.

43- ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص 414.

44- ابن الأحمر: المصدر السابق ص 26.

David corcos : The Jews of Morocco under the Merinides, jewish quarterly review, 45-1964,pp138-142

46- ابن خلدون: كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة 1983، م7، ج13، ص483-484.

47- السلاوي: المصدر السابق، ج 3، ص80-81.

48- الناصري المصدر السابق، ج3، ص99-100، **وانظر:**

N.S.Serfaty :Courtisans et diplomates juifs à la cour des sultans marocains (XIV-XVIIe s), saint denis, Boucheine, 1999, PP184-185.

49- الناصري: المصدر السابق، ص 80-81، ابن خلدون المصدر السابق ص484.

50- ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972، ص58.

51- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص198، ابن الأحمر بيوتات فاس، ص 38.

52- الناصري: المصدر السابق ص 100، السلاوي: المصدر السابق، ص49.

53- البرانسي: هو تحريف لكلمة الفالنسي – **بلنسية- و كانت تطلق على المنتسبين لهذه المدينة، انظر:**

Abbou : op.cit, p281 .

54- الحسن الوزان : المصدر السابق، ص 113.

Brunschving : Deux récits de voyages inédits en Afrique de Nord, Paris 1936,pp59-60 -55

56- ابتداء من القرن 7هـ/ 13م فرض لباسا خاصا على يهود المغرب الأدنى و المغرب الأقصى: المراكشي، المصدر السابق، ص 223-224، و في ظل الحكم المريني فرض على اليهود نعال خاص، كما الزموا بلباس عمامة سوداء أو طاقية تضاف لها قطعة قماش أحمر انظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 284-285، مارمول كربخال: المصدر السابق، ص156، كما كانوا يضعون رقاعا على الأكتاف و يشدون الزنار في الوسط، انظر: الونشريسي: المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية و الأندلس و المغرب، نشر و تحقيق محمد حجي و **آخرين، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، ج2، ص254.**

Levi-della vida :une nouvelle source pour l'histoire de l'Afrique de Nord, à la fin de XVes,-57 Hesperis, T XIX, 1934,p 198.

58- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، 1966، ص156.

59- البلديون هم فئة من نسل اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، فئة منهم اعتنقت الإسلام في بداية ق7هـ/13م بعد أحداث سنة 674هـ/1276م، أما الفئة الثانية من المسلمين الجدد فهم من يهود الأندلس الذين وفدوا الى فاس مع نهاية ق9هـ/15م و استمرت هدرتهم الى غاية ق10هـ/16م و كان لهؤلاء البلديين وضعية خاصة لدى حكام الدولة المرينية إذ كانوا يمثلون أهم تجار المدينة غير أنهم ظلوا أوفياء لتقاليد أسلافهم، انظر:

Garcia-Arsenal : Les Bildiyin de Fes, un groupe de neo musulman d'origine juive, studia Islamica, 1987 , p114.

لوطورنو: المرجع السابق، ١١١.

Garcia-Arsenal : op.cit, pp125-126.

-60

61- محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني، الكويت، دار القلم، 1985،275،274 62- الزركشي المصدر السابق، ص 156.

63-العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش و

أغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1976،ص43.

64- السلاوي: المصدر السابق، ص 150.

65- ابن القاضي: ذرة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق بن علوش، الرباط، 1934-1936، ج2، ص376، العباس بن إبراهيم: المصدر السابق، ص43.

66- مجهول المصدر السابق ،ص156.

Brunschvig : op.cit , p113 ; F.Fagnan : le signe distinctif des juifs au Maghreb, R.E.J,T28, -67
Paris, 1894, p298.

David Corcos : op.cit , p47. 68 -

69- إبراهيم حركات: أوضاع المغرب قبيل قيام الدولة السعدية، المغرب، مجلة البحث العلمي، 1975،ص83.

N.S Serfaty : Presence juive au Maghreb, hommage à Haim Zafeani, ed Bouchene, p187 70-

N.S Serfaty : courtisans, pp 111-113.
71-

Ibidem, 188. -72

M-Abitbol : Juifs d'Afrique du nord et expulses d'Espagne après 1452, revue de -73 l'histoire des religions, 1993, T210, n 1, p72.

74- ليلى الخايلة: يهود اسفي خلال القرن 16م، منشورات جمعية البحث و التوثيق و النشر، الطباعة و النشر، مطابع الرباط نت، ص 69.

75- ليلى الخايلة: المرجع نفسه، ص
.100

M-Abitbol : op.cit ,pp77-78.
-76

77- نوال عبد العزيز: المرجع السابق، ص
.590

M-Abitbol : op.cit, p 78.
-78